

خلفه شمس الدين راعيا للخرافيش شاكما للسادة والأعيان وثابر الفتوة على عمله سواقا للكارو، وسرعان ما صار من رواد الزاوية وأصدقاء الشيخ حسين قفة . ورحب باقتراح للشيخ حسين قفة فأنشأ كتابا جديدا فوق السبيل. ولا شك أن فتوات الحارات المجاورة قدم استردوا أنفاسهم باختفاء العملاق المهيب ، وراحوا يتحرشون ببعض الباعة المتجولين من أبناء الحارة . ولكي يثبت أن ملاحظته ورشاقته لا ينقصان من فتونته، قرر أن يتحدى أقوى الفتوات وهو فتوة العطوف. فدارت بين الفريقين معركة حامية انتصر فيها انتصارا حاسما اجتاحت أنباؤه الحارات جميعا. فأيقن كل من داعبه أمل التحدي أن شمس الدين لا يقل عن عاشور قوة وبأسا. رغم ذلك رجع شمس الدين من معركة العطوف مبلبل خاطر . الزوبعة الثملة بالقوة والنصر تتشرب بالأترية والقانورات . لقد قال له فتوة العطوف وهو يتوثب للالتحام. – أقدم يا بن الزانية . وملاً سبابه الأسماع . إن امرأة يختارها عاشور الناجي زوجة له ووعاء لذريته لا يمكن أن ترتقي إليها شبهة من الشبهات . ولكن لفترة قصيرة . لم يسترد الصفاء ، وهامت في صدره الهواجس مثل السحائب في اليوم المطير . مليحة ملاحه فائقة . صغيرة الجسم رشيقة فاتنة . تقية محترمة وذات شخصية مؤثرة . و الويل لمن تسول له نفسه اقتحام محرابها ! كم تعلق بها لدرجة الهوس حتى قال له عاشور الناجي يوما : فكان يأكل وينام فوق الكارو ، ودار في فلك أبيه منتزعا من الأحضان الدافئة. وهو يتفادى من هجماتها، برد الشتائم بأقبح منها، وتوقفت المعركة ، فهرب الفتى، وراحت الفتاة تلتقط ملاءتها من الأرض وتلتف بها وهي ترامقه في حياء. فتمتم باسمها: ما اسمك ؟ ألتذكروني يا معلم؟ وتذكرها فجأة فقال بدهشة: – بلي . كنا نلعب معا – ولكنك لم تتذكرني أنت ابنة دهشان ؟ فحنت رأسها وذهبت. وأشعلت حواسه فتدفق شبايه مثل أشعة الظهيرة . وجسمها المدمج الريان. وسرعان ما اتخذت المرأتان مجلسهما فوق العربة وعبوشة تقول بنبرتها العجوز : وثب إلى مقدمة الكارو ، وهو يتمنى لو يخطف من المرأة نظرة أخرى . ويمتلىء بأريج العظمة الحقيقية، ويمحق بذلك خطرات الضعف والغواية . حتى غادرت العربة في الدرب الأحمر . وأتبعها ناظريه وهي تمضي نحو رواق المشايخ. ولبثت عبوشة بمحلها فنظر نحوها متسائلا فتمتمت : وإذا بالعجوز تسأله : – ألم تر من قبل ست قمر ؟ فشكر : للمرأة فتحها الحديث وأجاب :